١- حرم الوالدين من الكنيسة وأمر بطردهم ونفيهم .. فطردوا من ليون بمرسوم إمبراطورى سنة ١١٨٤م ، وحرموا وشتتوا فى الأقطار المجاورة حيث أثمرت دعوتهم وأصبح اسم «رجال ليون الفقراء» يطلق على الذين تبعوا المسيح وتعاليمه [١].

٢- قرر المجمع [١] : أن انتخاب البابا يكون بثلثى عدد الكرادلة [٢] ، وأن لا يقل عمر المعين فى وظيفة الأسقف عن ثلاثين سنة [٣] ، وأن يكون متعلما وذا شخصية تتناسب مع وظيفته ... وكان لهذا القرار أثره. إذ تأجل الانتخاب فى أكثر الأحيان بسبب مصالح الكرادلة وأهوائهم الخاصة وعلى حين أطالوا هم فترة حكمهم المستقل بقى العالم المسيحى بلا رأس. وبقى كرسى البابوية شاغرا ثلاث سنوات قبل جريجورى العاشر الذى صمم على القضاء على العبث [٤].

ورغم قرار الحرمان الذى أصدره هذا المجمع ضد الوالدين فإنهم كانوا يزدادون يوما بعد يوم ، وينتقلون فى كل مكان ، وكان إمامهم قاطناً فى بلاد الوندال يرفل فى ظل الراحة والهدوء آمناً مطمئناً .. حتى مات سنة ١٢١٧م ، بعد أن بذر بذورا كثيرة ظهرت ثمارها فى المحصول الروحى الذى حدث فى تلك البلاد [٣] ، ولا تزال هذه الطائفة باقية إلى يومنا هذا فى الأجزاء الشاهقة من وديان الألب وفى الولايات المتحدة [٤].

---

١- الدرة النفيسة ص ٢٧٢ والكنيسة المتغربة ص ١١٤.

٢- إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ٣ ص ٣٩١ ، وأوربا العصور الوسطى «عاشور» جـ٢ ص ٢٥.

٣- الدرة النفيسة ص ٢٧٢ ، والكنيسة المتغربة ص ١١٥.

٤- تاريخ الفلسفة الغربية جـ٢ ص ٢٢٨.

وبعقد هذا المجمع إنتهى الشوط الثانى للنزاع البابوى الإمبراطورى بعد أن توج فردريك الثانى ملكاً على ألمانيا ١٢١٢م ، ثم كان الشوط الثالث من النزاع البابوى الإمبراطورى [١].

**- الدور الثالث من النزاع :**

ازدادت مخاوف البابوية من فرديرك الثانى ، وأخذ البابا ينظر بعين ملؤها الشك والريبة والخوف ، إذ كان الإمبراطور وعدا البابا أنوسنت الثالث ١٢١٥م بالقيام بحملة صليبية على الشرق الإسلامى .. ولكنه أخذ يماطل فى الحملة حتى بعد أن توجه البابا مرة ثانية سنة ١٢٢٠م إمبراطوراً فى روما .. لم يف بوعده فى هذه الحملة ولم يفعل شيئا .. وظل النزاع قائماً حتى أختير أنوسنت الرابع سنة ١٢٤٣م [٢].

وتطور الموقف فعقد البابا أنوسنت الثالث مجمع اللاتران الرابع ، وذلك للبحث فيما قررته البابوية من صكوك الغفران .. لجمع المال .. ، وعما وجد فى مسألة العشاء الربانى .. وانتخاب الأساقفة .. وفى هذا المجمع أتخذت القرارات الآتية :

١- إن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء.

٢- وأن العشاء الربانى يتحول إلى جسد ودم المسيح.

٣- كل من يخالف ذلك يُعْدَم ويُلْعَن.

٤- قرر المجمع تحريم زواج القساوسة نهائيا.

٥- حدد المجمع طرق انتخاب الأساقفة .. واحتفظ البابا أنوسنت الثالث للبابوية بحق رفض الاختيار إذا كان المرشح غير لائق للوظيفة ، بل إن هذا البابا لجأ

---

١- أوربا العصور الوسطى - عاشور - جـ١ ص ١١٥.

٢- المرجع السابق جـ٢ ص ٣٩٦ ومابعدها.

إلى تعيين بعض الأساقفة بطريق مباشر لإثبات حق البابوية فى اتخاذ مثل هذا الإجراء .[1]

ومما سلف يتضح : أن ما ورد فى هذا المجمع من قرارات : أصبحت البابوية هى كل شئ .. إذ نقضت كل ما جاء فى الكتاب المقدس .. بل إنها أعطت للبابا سلطة لغفران الذنوب .. التى لا تكون إلا لله حيث قال : « .. وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ؟ .. »[2] ، ولكنهم سووا العبد بالمعبود .. وكان هذا حالهم واعترافهم على أنفسهم بعد دخولهم الجحيم ، كما بين القرآن الكريم « تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ »[3].

وأدى هذا الضلال فى العقيدة إلى أن نشأ النظامان الجديدان للرهبنة وهما: الدومنيكان ، والفرنسيسكان ، عن رغبة صادقة للخلاص من الشرور التى لا تطاق ، المتفشية فى الكنيسة والعالم المسيحى[4] .

« وهكذا أخذت البدع تتفشى ، وذهب دين المسيح أدراج الرياح بفعل البابوية التى أصبحت المشرع فى كل شئ حتى فى غفران الذنوب .. تغفر كما تحب وتشتهى .. وبهذا أصبحت التشاريع الإلهية لعبة سياسية تلعب بها أيدى السلطات البابوية بكل جرأة وطلاقه »[5].

ثم كان لقرارات مجمعى اللاتران الآخرين ضد الوالدين وغيرهم ممن تمسكوا بتعاليم الكتاب المقدس .. أن انتشرت التعاليم التى أذاعها هؤلاء الذين أطلق عليهم « فقراء ليون » والذين هاجموا دعارة رجال الكنيسة ، وأنكروا كل ما

١- قصة الحضارة بإيجاز جـ٣ مجلد ٤ ص ٣٩٢ ، عقائدنا ص ٢١٥ ، يا أهل الكتاب ص ٢٥٨ ومابعدها. المسيحية د/ أحمد شلبى ص ١٩٧ ، أوربا العصور الوسطى جـ٢ ص ٢٥ عاشور.

٢- سورة آل عمران من الآية (١٣٥).

٣- سورة الشعراء آية ( ٩٧ ، ٩٨ ).

٤- الكنيسة المتغربة ص ١١٧.

٥- عقائدنا ص ٢١٤ ، مرجع سابق.

يجرى فى الكنيسة الغربية من أسرار وطقوس ، وأخذوا ينادون بنقاوة الدين المسيحى وطهارته وبساطته ، وأبعدوا عن تعاليم البابوية رغم قرارات الحرمان ضدهم وأخذوا يعيشون حياة الفقر وحياة الفضيلة الصادقة مما أقلق الكنيسة الغربية وأفزعها [1] .. من أجل ذلك أتخذت إجراءات شديدة لقمع هذه الحركة .. ورأى البابا أنوسنت الثالث أن يستأصل هؤلاء .. فأطلق عليهم « اسم الزنادقة» وادعى أنهم خائنون للمسيح وأنهم يستحقون الموت .. قدعا أنوسنت إلى محاربتهم .. وشن عليهم حملة عنيفة سنة ١٢٠٩م ، ولما لم تنجح هذه الحملة الحربية لاستئصالهم أنشأ جريجورى التاسع سنة ١٢٣٣م ، محاكم التفتيش للقضاء على كل من يخالف الكنيسة البابوية خاصة الأوامر البابوية [2].

* محاكم التفتيش :-

من مظاهر التسلط الكنسى وسوءاته « محاكم التفتيش » التى تستمد سلطتها من البابا مباشرة ، ولا دخل للحكومات فى تصرفاتها اللهم إلا قيامها بتنفيذ أحكامها ، أما قضاتها فكانوا من رجال الدين المعروفين بتعصبهم الشديد للكاثوليكية ، وكانت المحاكمة فى هذه المحاكم سرية ، ومن واجباتها .. مراقبة المطبوعات والمدارس وتقرير الكتب التى يسمح بتداولها .. وإحراق الكتب التى لا تتفق مع المذهب الكاثوليكى.

ومن وظيفتها : التجسس بكل الطرق على من يشتبه فى عقيدتهم والقبض عليهم ومحاكمتهم فى جلسات سرية ، وتعذيبهم بمختلف الطرق القاسية حتى تكرههم على الاعتراف بالإلحاد . وحينئذ يوقع عليهم العقاب - بالإحراق .. أو السجن المؤبد .. ومصادرة أملاكهم ، حتى التائبون منهم كانوا يسجنون طوال حياتهم تطهيراً لهم من جريمة الإلحاد [3].

١- أنظر تاريخ الفلسفة الغربية، جـ٢ ص ٢٢٨ بتصرف، الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة ص٣٠١.
٢- تاريخ الفلسفة الغربية ، جـ٢ ص ٢٢٨ بتصرف.
٣- معالم تاريخ أوربا الحديث ص ٤٣ بتصرف.

ولم يكن للمتهمين حق الاستعانة بمن يدافع عنهم .. وإذا ثبتت التهمة على المتهم أسلموه إلى رجال السلطة العلمانية - السياسية - مشفوعاً بالدعاء له .. لعل حياته أن تنجو من الموت ، غير أن السلطة العلمانية كانت مغلوبة هى الأخرى على أمرها ، فإذا ما أمسكت عن إحراق المتهم ، تعرض رجالها أنفسهم إلى الوقوف أمام محاكم التفتيش التى لم تجعل غايتها محاكمة الزندقة بمعنى هذه الكلمة المألوفة ، بل جعلت همها محاكمة السحرة .. والمشعوذين .. وتوسعت حتى شملت غير رجال الدين المسيحى .. إذ وقف أمامها يهود أسبانيا المتسترين [1] ..

ولكن هذه المحاكم الظالمة قد أتت بعكس ما كانت ترمى إليه فى أسبانيا إذ بغضت إلى الناس فثاروا عليها ، وظلوا يحاربونها حتى ظفروا بالاستقلال ، ويذكر التاريخ هذه المحاكم بالسخط لما جرته على الشعوب البريئة من الويلات والحروب [2].

ولم تستطع هذه المحاكم أن تحقق هدفها : بل بعكس ذلك ازدادت البدع ضد البابوية والكنيسة الغربية .. وكانت النار التى كان يحكم على المبتدعين بطرحهم فيها .. كانت تظهر وتنتشر منها بدع أخرى حديثة [3] ..

**- ظلم محاكم التفتيش وجورها :**

وعن ظلم هذه المحاكم وجورها يقول صاحب الدرة النفيسة :

إن من أبغضه البابا أو بعض الإكليروس [4] أو الرهبان كان ينسب إليه الابتداع فى الحال .. فيعرض أمره لمحكمة الفحص الشريف : أى محاكم

---

١- تاريخ الكنيسة الغربية جـ٢ ص ٢٢٩ بتصرف.

٢- معالم تاريخ أوربا الحديث ص ٤٣.

٣- الدرة النفيسة فى شرح حال الكنيسة ص ٣٠١.

٤- الإكليروس : لفظ كنسى يطلق على جميع درجات رجال الكنيسة وهى ست درجات : البابا - البطريرك - المطران - الأسقف - القس - الشماس. أنظر تاريخ الاتشقاق جـ١ ص ٧٦ لارسمنديتى جراسموس ، مطبعة الابراهمية بالاسكندرية . المسيحية د. أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٧ ص ٥٢٣.

التفتيش .. وكانت النار معدة فى كل وقت .. وقد أحرق بحجة الابتداع كثيرون من الأبرياء .. وصودرت أملاكهم إما بغضاً أو طمعاً فى سلب أموالهم .. ومن ثمّ كان الناس يخافون من أرباب المحاكم - أى القضاة - أكثر مما يخافون من الجبابرة العتاة .. وقطاع الطرق المحبين لسفك الدماء .. وكان من أفظع ما يعمله القضاة القساة ، أنهم يمتحنون المقدم إلى محاكمهم بحديد محمى بالنار .. فمن لم يحترق كان بريئاً ، ومن احترق كان مجرماً ، فكانوا يطرحونه على الفور فى أتون النار ..

وهكذا تسلطت البابوية على الناس .. ولو كانت حقاً عادلة : لأجرت هذا الاختبار بالنار على نفسها وعلى قضاتها كما يقول مؤرخ الكنيسة [1].

كان لهذا القهر الذى يمارس على العقول حرباً على العلم والعلماء مع ما تعلنه الكنيسة وما قرره البابا من صكوك الغفران .. وعصمته من الخطأ .. ومحاكم التفتيش .. وما ترتب عليها من قتل وتعذيب وإحراق .. رد فعل عنيف على الكنيسة البابوية ونظامها .. فكان أول نداء لفصل الدين عن الدولة .. وتقييد سلطة الكنيسة داخل جدرانها بحبس الدين فى رأى المعتدلين .. وإعدامه فى رأى المتطرفين [2].

* حركة الإصلاح :-

وكانت حركة الإصلاح التى بدأها مارتن لوثر وغيره من المصلحين أمثال حنا وكلف وحناهى وزد نجلى .. تلك الحركة التى زلزلت أركان الكنيسة البابوية وصدعتها وخرجت بمذهب جديد فى النصرانية هو .. البروتستانتية.

فقد أعلن «مارتن لوثر» أن الكتاب المقدس هو المصدر .. وليس البابا أو الكنيسة .. ولذلك سمى كنيسته بالكنيسة الإنجيلية.

---

١- المصدر السابق ص ٢٩٤.

٢- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٦٩ د/ جمعة الخولى.

وبهذا تعرضت المسيحية أو بمعنى أصح الكنيسة الكاثوليكية للجدل الفكرى وأصبحت موضوعاً للنقاش الفعلى والمذاهب الفلسفية.

فمن أنكر من الفلاسفة على الدين أن تكون له سلطة .. أنكر سلطة البابوية.

ومن وضع العلاقة بين الدين والعقل كشيئين متقابلين أو متناقضين حدد العلاقة بين الكثلكة وتصويرها للعقيدة.

ومن دافع عن المسيحية من الفلاسفة «كهيجل» دافع عن التعاليم اللوثرية والحركة الإصلاحية التى أعلنها لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية ..

وهكذا جعل الدين موضعاً للصراع الأوربى بين الفلاسفة .. والمصلحين .. والحكام .. والبابوات .. فخرجت الآراء الفلسفية [1].

فنادى الفليسوف ( ديكارت ) بأن للعقل ميدانه .. وللدين ميدانه .. وميدان العلم هو الطبيعة .. وميدان الدين هو العالم الآخر .. وبهذا عزل الدين عن العلم وعن الحياة ..

أما فولتير ، فقد أسمى النصرانية بالكائن الوضيع .. ووصف التوحيد بين الدين والدولة بأنه أبشع نظام .. ونادى بإلغائه ، وإبعاد الدين عن الدولة ، وفصل الدولة عن الدين ، وطالب بإقامة نظام آخر يخضع فيه رجل الدين لنظام الدولة ويخضع فيه الراهب للقاضى.

أما جاك روسو : فقد ترجم قول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين قال : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » إلى نظرية إجتماعية قائلا : « إن الناس جميعاً كانوا أحراراً لا قيد على حريتهم .. ولكنهم لحاجتهم إلى إقامة مجتمع ودولة تنازلوا عن قدر ضئيل من حريتهم ليحفظوا حريات الآخرين ، حتى يقوم مجتمع وتقوم دولة » ..

---

١- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٥٠ بتصرف د. محمد البهى.

ثم كانت ثورة الفرسان والفلاحين فى ألمانيا فى القرن السادس عشر ، ثم الثورة الفرنسية فى القرن التاسع عشر .. تلك الثورات التى قامت ضد الكنيسة وكان شعارها « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس » [1] ، والتى تحطمت فيها كثير من الكنائس والأديرة - فأدى ذلك إلى سقوط الكنيسة الغربية.

وساد شعار فصل الدين عن الدولة بعد القرن السادس عشر .. وعلى ذلك ظهرت العلمانية فى أوربا منذ بداية القرن السابع عشر .. وأخذت عبر التاريخ الحديث للغرب عدة معان .. فكانت تعنى : فصل الدين عن الدولة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وفى القرن التاسع عشر تحولت إلى إبعاد الدين عن الدولة .. وانتقلت العلمانية إلى الشرق فى بداية القرن التاسع عشر .. وانتقلت بشكل أساسى إلى مصر .. وتركيا .. وإيران .. ولبنان .. وسوريا .. ثم تونس .. ثم لحقتها العراق فى نهاية القرن التاسع عشر .. أما بقية الدولة العربية فقد انتقلت إليها فى القرن العشرين [2].

* **تفنيد مبررات العلمانية فى الغرب المسيحى :-**

بعد الصورة التى تقدمت فى هذه الدراسة .. وتجلى فيها ما وقع بين رجال الدين وما أرادوا لأنفسهم من السلطة والمال .. وغير ذلك وبين الحكام من مصادمات وصراعات بين رجال العلم ورجال الكنيسة .. مما أعطى العلمانية مبررات لوجودها فى الغرب المسيحى من الناحية الدينية .. والفكرية .. والتاريخية .. والنفسية .. والواقعية .. وجميعها لا ينطبق بحال من الأحوال على الإسلام لما يلى :

---

١- الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٧١ وما بعدها ، التاريخ الأوربى الحديث ص ٩٨ د/ عبدالعزيز فواز.

٢- نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الاسلامى ص ٢٥ ، د/ محمد زين الهادى.

## أولاً : المسيحية تقبل القسمة فى الحياة بين الخالق والمخلوق :

حيث ورد فى نصوصها مايؤيد فكرة العلمانية - أى الفصل بين الدين والدولة .. أو بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية .. وهذا واضح فى قول المسيح (عليه السلام) ، كما يرويه الإنجيل : ( إعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله)[1] .. وقيصر هنا يرمز للسلطة الزمنية - سلطة الدولة - .. والثانى : «لله» وهو الجانب الذى يخضع للسلطة الروحية - سلطة الكنيسة ..

ويؤيد ذلك أن الغرب المسيحى فى فكره لم يعرف «الله» الذى يعرفه المسلمون .. عليماً محيطاً بكل شئ ، مدبراً لكل أمر .. لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .. أحصى كل شئ عددا .. وجعل لكل شئ قدرا .. بعث الرسل مبشرين ومنذرين .. وأنزل معهم الكتاب بالحق .. ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه.

أما إله الفكر الغربى إله آخر ، مثل إله «أرسطو» ، الذى لا يعلم شيئا غير ذاته ، ولا يدرى عما فى الكون شيئا .. ولا يدبر فيه أمرا .. ولا يحرك فيه ساكنا ، فهو - كما قال مؤرخ الحضارة والفلسفة « ول . ديورانت » : إله مسكين ، أشبه بملك الإنجليز ، يملك ولا يحكم .

ولكن الإسلام لا يعرف هذا الإله المسكين المعزول عن الكون والإنسان .. ولا يقبل الثنائية .. التى عرفها الفكر المسيحى والفكر الغربى .. فيقسم الحياة بين الله تعالى وبين قيصر .. فليس قيصر نداً لله ينازعه ملكه .. بل هو عبدالله يخضع لحكمه ، ويدين لأمره ونهيه كما يدين كل العباد .

لأن عقيدة التوحيد الإسلامية ترفض الشرك فى العبودية لله .. وكذا الشرك فى الولاء له .. والطاعة لحكمه ، والمسلم لا يبغى غير الله ربا ، ولا يتخذ غير

---

١- إنجيل متى إصحاح ٢٢ فقرة ١٥ : ٢٢ ، ومرقس إصحاح ١٢ فقرة ١٣ : ١٧ بألفاظ متقاربة ، ولوقا إصحاح ٢٠ فقرة ٢٠ : ٢٦ بألفاظ متقاربة أيضا.

الله وليا ، ولا يبتغى غير الله حكما .. كما ورد فى سورة التوحيد .. فكل المسلم لله وحياته كلها لله ، كما جاء فى سورة الأنعام « قُلْ إِنَّ صَلاتِي ، وَنُسُكِي ، وَمَحيايَ ، وَمَمَاتِي ، لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِين » [1].

## ثانياً : المسيحية لم تأت بتشريع لشئون الحياة :

ومن ناحية أخرى ، فإن المسيحية لا تملك تشريعاً مفصلاً لشئون الحياة ، يضبط معاملاتها .. وينظم علاقاتها .. ويضع الموازين القسط والأصول لتصرفاتها. إنما هى : روحانيات .. وأخلاقيات ، تضمنتها مواعظ الإنجيل ، وكلمات المسيح فيه.

على خلاف الإسلام : الذى جاء عقيدة .. وشريعة .. ووضع الأصول لحياة الإنسان من المهد إلى اللحد .. قال سبحانه « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ .. تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ .. وَهُدَىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين» [2].

ومن هنا نجد التشريع الإسلامى شمل : الحلال .. والحرام فى حياة الفرد .. كما نظَّم الحقوق والواجبات فى محيط الأسرة ، ونظَّم شئون المعاملات والمبادلات في المجتمع بين الناس بعضهم البعض ، كما اهتم بشئون الإدارة .. والمال .. والسياسة الشرعية وكل ما يتعلق بحقوق الراعى والرعية ، وفوق هذا العلاقات الدولية بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم فى حال السلم .. وفى حال الحرب.

وهذا ما تضمنه « الفقه الإسلامى » الذى يحوى بين جنباته ، كل مايتعلق بحياة الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم بداية « بالطهارة » إلى « كتاب الجهاد » ومن آداب الطعام والشراب .. إلى بناء الدولة.

وليس لدى المسيحى مثل هذا التشريع ، يرجع إليه ، ويحكم به أو يحتكم إليه. فالمسيحى إذاً حكمه قانون مدنى وضعى ، لا ينزعج قليلاً ولا كثيراً ، لأنه

١- سورة الأنعام آية (١٦٢).

٢- سورة النحل آية (٨٩).

لا يعطل قانوناً فرضه عليه دينه ، ولا يشعر بالتناقض بين عقيدته وواقعه ، كما يشعر به المسلم ، الذى يوجب عليه إيمانه بالله ورسوله الاحتكام إليهما فيما شرعا ، والسمع والطاعة لما أمرا به أو نهيا عنه « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ .. إِذَا دُعُوا إِلَىَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »[1] ..

**ثالثاً : لم يكن فى الإسلام سلطة دينية بابوية :**

يوجد فى المسيحية سلطتان هما :

١- السلطة الدينية : ويمثلها « البابا » ورجال « الإكليروس »[2].

٢- السلطة الدنيوية : ويمثلها « الملك » أو رئيس الجمهورية ، ورجال حكومته ، وأعوان سلطته.

فإذا فصلت العلمانية الدين المسيحى عن الدولة فإن ذلك لا يضر الدين ، ولا يزول سلطانه لأن سلطته بالفعل قائمة . لها قوتها وخطرها ومالها ورجالها «من الرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات » تعمل فى مجالاتها المختلفة ، دون أن يكون للدولة عليهم سلطان . بخلاف مالو فعلت العلمانية ذلك بدولة إسلامية .. فإن النتيجة أن يبقى الدين بغير سلطان يؤيده ، ولا قوة تسنده ، حيث لا بابوية له ولا كهنوت ولا « إكليروس » .

وشاهدنا على ذلك ما حدث فى تركية المسلمة ، حين أعلن « كمال أتاتورك» علمانية الدولة ، وفصلها عن الدين ، وفصل الدين عنها .. كما بين ذلك الكاتب المغربى المسلم « إدريس الكتانى » فى كتابه « المغرب المسلم ضد اللادينية» . يقول : « إن التجربة التركية خلال ٣٠ عاما ، أى أكثر من ٧٨

---

١- سورة النور آية (٥١).

٢- «الإكليروس» : لفظ كنسى يطلق على جميع درجات الكنيسة وهى ست درجات : (١) البابا ، (٢) البطريرك ، (٣) المطران ، (٤) الأسقف ، (٥) القس ، (٦) الشماس . أنظر تاريخ الاشتقاق جـ١ ص ٧٦ ، المسيحية ص ٥٢٣.

عاما الآن » أقامت الدليل على أن تطبيق هذا النظام فى دولة إسلامية ، معناه القضاء على الإسلام ، كعقيدة حية مزدهرة ، ورسالة إنسانية خالدة : ذلك أن تجريد الحكومة من السلطة الدينية ، ومن صبغة الدين - مع العلم بأنه لا يوجد فى المجتمع الإسلامى من يمثل هذه السلطة ، كما هو الشأن فى المسيحية - لا يعنى إلا انقراض سلطة الدين الإسلامى بالمرة. وهذا عين ما حدث فى تركيا : فإن الكماليين عندما فصلوا دولتهم عن سلطة «دينية» لم يكونوا راغبين فى وجودها ، ولذلك عمدوا إلى إنشاء إدارة صغيرة للشئون الدينية ، تشرف على المساجد ، وهى المظهر الوحيد الذى بقى للإسلام فى تركيا.

ومن البديهى أن هذه الإدارة لم تكن لها أية سلطة دينية ؛ لأنها فى الواقع مصلحة حكومية صرفة ، ولا يمكن - بحال من الأحوال - مقارنة نفوذ هذه الإدارة البسيطة بسلطة «البابا» الروحية العظيمة فى العالم المسيحى ، وسلطاته المستقلة - تماماً - فى إدارة الكنائس والمؤسسات والمصالح المسيحية كلها.

ومن هذا يتضح لنا : أن نظام « لا دينية الدولة » ، إذا كان ينسجم مع المسيحية ، ولا يقضى على سلطتها ، وإنما يحدد اختصاصاتها بالنسبة للسلطة الدنيوية ، فإن هذا النظام يتعارض - تماماً - مع طبيعة الإسلام ، ويكون خطراً مباشراً عليه ، كشريعة كاملة للحياة ، وبعطل أجهزته المتحركة عن القيام بوظيفتها ، وبحيله بالتالى إلى عاطفة وجدانية نائمة فى قلوب الناس.

ولذلك فإن المغرب العربى المسلم ، لن يسمح بإعادة « التجربة التركية » فوق أراضيه الطاهرة ، ولن يصبح « لا يكيا » إلا عندما ترغب شعوبه فى التخلى عن عقيدتها وإيمانها ، والتنكر لتاريخها ورسالتها ، وهذا مالم تسمح به للاستعمار فى الماضى ، ولن تسمح به للذين وقعوا تحت سيطرته الفكرية فى المستقبل بإذن الله . (١)

١- المغرب المسلم ضد اللادينية ص ٩٣ ، ٩٤ الأستاذ/ إدريس الكتانى ، أنظر : الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص ٥٦ د/ يوسف القرضاوى طبع دار الصحوة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

والواقع أن هذا ليس موقف المغرب العربى المسلم وحده ، بل هو موقف كل مسلم فى أى موقع ، أى فى العالم الإسلامى كله ؛ لأن منطلق الجميع واحد ، والوجهة واحدة ، والخطر عليهم واحد.

## رابعاً : تاريخ الكنيسة مخالف لمنهج الإسلام :

لقد مرت أوربا بما يسمى بالعصور المظلمة ، وفى هذه الفترة تسلط رجال الدين فى الكنيسة على كل نشاط فى أى ميدان مما تسبب عنه ركود وتخلف حضارى بالنسبة إلى ماكان موجوداً بالذات عند المسلمين من تقدم فى كل المجالات. حتى كان القرن التاسع عشر وحدثت مواجهة عنيفة بين العلمانية والدين .. وذلك لأن تاريخ الكنيسة مع العلم والفكر والحرية تاريخ مخوف ، حيث وقفت الكنيسة مع الجهل ضد العلم ، ومع الخرافة ضد الفكر ، ومع الاستبداد ضد الحرية .. فارتبط تاريخ الكنيسة فى ذهن الإنسان الغربى المسيحى.. بالاضطهاد .. والقتل ومحاكم التفتيش ، والمذابح المستمرة بين الطوائف المتنازعة بعضها وبعض ، ووقفت الكنيسة أيضا مع الإقطاعيين ضد الشعب ، حتى ثارت الجماهير عليها ، وتحرروا من الحكم المباشر لرجالها ، واعتبروا عزل الدين عن الدولة ، كسباً للشعوب ضد جلاديها..

فلا عجب بعد أن ظهر العلم التجريبى وتغلغلت المادية فى نفوس كثير ممن فتنوا به ، إلى حد أن أنكروا الأديان وما جاءت به من أفكار ، واتهموها بتهم كثيرة كرد فعل للمعاناة التى عانوها من رجال الدين وسلطانهم فى زمن التخلف الذى نسبوه إلى الدين ، ذلك الذى كان من وضع من تولوا أمره – والدين الحق المنزل من عند الله برئ منه – فلا غرو أن يقف الإنسان الغربى ضد عودة السلطة إلى الكنيسة .. لأنها تعنى عودة هذه المآسى التى أشرنا إليها – من التسلط .. والقتل .. والتعذيب .. وغير ذلك – وإن ما نشاهده الآن فى النصف الثانى من القرن العشرين من بربرية ، وقتل جماعى لآلاف بل ملايين من الأبرياء .. دون أن

تهتز شعرة فى جسم من قتلوهم ، وكذلك السلب والنهب وهتك الأعراض .. والتشريد والنفى عن البلاد ، كل هذا وأكثر حدث على أيدى مسيحيين انحدروا من أصلاب أسر مسيحية ، انتسبت منذ قرون إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، أو إلى الكنيسة الشرقية البروتستانتية . فظاعات ومآسى مفزعة، ومجردة من كل مظهر إنسانى [1] ..

لم يسجل التاريخ ما يؤخذ على الإسلام .. بل عكس ذلك تماماً .. الحرية فى اختيار العقيدة والعفو .. والتسامح .. عدم الغدر فى الحرب .. وعدم التخريب والتدمير .. وحرمة قتل النساء والأطفال والشيوخ وغير المحاربين .. والتعايش فى سلام مع أصحاب الديانات الأخرى ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .. ولا ينسجم هذا السلوك القويم والمبادئ الإسلامية الرفيعة .. مع العلمانية وما جرّته على العالم من ويلات .

* فشل العلمانية فى ديار الإسلام :

مما تقدم يستحيل على العلمانية أن تنجح فى أى بلد إسلامى ، لأنها مناقضة لما جاء به الإسلام من قيم ومبادئ .. دانت بها الشعوب المسلمة ، ومناقشة كذلك مع مفهوم الإسلام وتاريخه .. ولا يوجد أى مبرر لقيامها ، كما وجد ذلك فى الغرب النصرانى.

وكل ما تستطيع القيام به .. محاولة تغيير طبيعة الأمة واتجاهها .. ولكن الأمة لا تستجيب لها .. فما لديها من مناعة بإيمانها يرفض زرع هذا الجسم الغريب فى داخلها .. وتقاومه بكل قوة .. ولذلك يوجد صراع بين الحكم العلمانى .. وبين الأمة المسلمة .. يظهر حينا ويختفى أحيانا ، إلا أنه صراع

---

١- ليس بعيداً عنا ما حدث من الصرب فى شعب البوسنة والهرسك المسلم .. وكذا ما يحدث فى أرجاء الأرض وتنقله وسائل الإعلام فى الفلبين وأثيوبيا وتايلاند والشيشان وغيرها ..

مستمر بين الذات والعدوان عليها .. يكمن كمون النار في البركان ولكنه لابد يوما أن ينفجر ، وتلك سنة الحياة أن يتصارع الحق والباطل .. ليتميز الخبيث من الطيب .. « أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ .. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » (١).

ولقد أشرنا إلى البلد الإسلامى الذى حكمته العلمانية ، ونفذت فيه خططها .. وضربت بيد من حديد كل ما يقاومها .. بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة .. الذى خاض بحرا من الدم بقيادة « كمال أتاتورك » حيث قهره على تطبيق الأنموذج الغربى فى الحياة كلها .. فى الاجتماع .. والسياسة .. والاقتصاد .. والتعليم .. والثقافة .. وسلخه من تراثه .. وقيمه .. وتقاليده .. كما تسلخ الشاه من جلدها .. وأقام دستوراً لا دينياً ، يعزل الدين عن الحياة عزلاً كاملاً .. وهو مجاف للإسلام كلية حتى فى شئون الأسرة والأحوال الشخصية.

ولم يتمكن أتاتورك وخلفاؤه من بعده ، ومعهم الدستور .. والقوانين .. والتعليم .. والإعلام .. والجيش .. والشرطة .. ومن ورائهم الغرب بكل جبروته وقوته أن يجتثوا الجذور الإسلامية .. والمشاعر .. والتطلعات والقيم التى تنبثق عنها من حياة الشعب التركى المسلم .. بل ظل الإسلام – مع ذلك كله – فى ضمائر الأتراك وإن اختفى من الحياة السياسية فى علام الطبقة الحاكمة .. إلا أنه تحول إلى مركز الخيارات السياسية فى البلاد ، فالجمعيات الإسلامية .. والتعاليم الدينية .. والمدارس القرآنية .. ومعاهد الأئمة والخطباء .. وإن اعتبرت غير شرعية .. وتعرضت للقمع غالبا ابتداء من عام ١٩٢٥م ، على اعتبار أنها مراكز للتخلف والتآمر الرجعى . إلا أنها استمرت تمارس نفوذها وسط الجماهير المتحمسة والرافضة لأى نموذج إجتماعى يخرج عن الإطار الثقافى الإسلامى ويمثل ذلك «حزب الخلاص الوطنى» الذى بدأ مع دخول النمط البرلمانى إلى تركيا ، وقد

---

١- سورة العنكبوت آية ( ٢ ، ٣ ).

حصل على انتخابات ١٩٧٣ على ٨ . ١١ فى المائة من مجموع الأصوات .. واحتفظ بهذه النسبة .. حتى قيام الانقلاب العسكرى فى أيلول ١٩٨٠م »[١].

وتزعم الصحيفة أن التحول من الإسلام إلى العلمانية إصلاح فتقول : «بعد قرنين من الإصلاحات الرامية إلى طبع المجتمع التركى بالطابع الغربى ، وبعد نصف قرن من الحكم العلمانى ، هناك حديث الآن عن انبعاث الإسلام مجدداً فى تركيا ، التى كانت من أوائل الدول الإسلامية ، التى فصلت بين السياسة والدين» « حيث جعل أتاتورك العلمانية أساس الدولة وأساس التحديث فيها ، مما كان يعنى أن الإسلام يجب أن يخرج من الحياة العامة ، ليحتفظ فقط بحق التأثير فى ضمائر المتدينين .. وتحول الإسلام بجرة قلم من الدولة ، إلى مسألة خاصة .. وتشرف عليه الدولة .. والحق والواقع أنه الإسلام دين وسياسة قبل كل شئ.

هكذا نرى أن السلطات السياسية والاستعمارية تعاونت مع المنادين بفصل الدين عن الدولة ، والذين لم يقبلوا أن يكون للدين سلطة ثابتة أبدا .. وسار على هذا النهج كثير من الدول الغربية ، وقلدها فى ذلك بعض الدول الشرقية ، ووضعت دساتيرها على أساس الفصل بين السياسة والدين ، مبهورة بالتقدم والحضارة المادية الغربية .. إعتقاداً أنها وليدة إقصاء الدين عن النشاط السياسى والإجتماعى.

* **الإسلام يرفض العلمانية :**

الإسلام دين الله الذى رضيه للبشرية « .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا .. »[٢] وأنزل به منهجاً منزهاً عن

١- من مقال نشر بجريدة (لوموند دبلوماتيك) الفرنسية فى ١٨ يناير ١٩٨٣م عن تركيا بين مدينة الغرب وأصالة الإسلام ، نقلا بتصرف من : الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص ٦١ ، ٦٢ د/يوسف القرضاوى.

٢- سورة المائدة جزء من الآية (٣).

النقص والعيوب والمآخذ التى وجدت فى الأديان الأخرى التى لعبت فيها الأصابع ووفتها عن حقيقتها.

ذلك لأنه دين الإصلاح الشامل ، الذى ينظم علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بالمجتمع الذى يعيش فيه ، ويوفر له السعادة فى الدنيا والآخرة على السواء ، فهو كما يقال ، دين ودنيا .. أو دين ودولة ، عبادة وقيادة .. ولم يتسبب مافيه لبشر .. ولم يقم على حفظه بشر .. بل حفظه الله « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١).

ومن مظاهر ذلك مايلى :

**أولاً :** لم يوجد فى عقائد الإسلام خرافات ولا أباطيل .. وليس منغلقا على معلومات معينة يتلقاها بنصها من الوحى .. بل هو دين الفطرة والعقل ميزانه منفتح على كل العلوم والمعارف التى تقوم على حقائق وتستهدف الخير .. من باب قوله جل وعلا : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحقُ .. » (٢) ، ومافى الآفاق والأنفس سيظل بحرا تأخذ منه البشرية فى كل العصور ما يهديها إلى خالقها بحسب ما تطيق حتى تنتهى الحياة ولا تنفذ الآيات.

**ثانياً :** ليس فى الإسلام كهنوت يتحكم فيه بعض من الناس فى مصائر العباد - كما فى العلمانية - من غفران الذنوب ، وإدخال الجنة أو الحرمان منها .. لاعتبارات خاصة .. بل الذى يملك ذلك هو الخالق القادر .. ومدار ذلك على العقيدة الخالصة .. والعمل الصالح .. وليس المشتغلون بعلوم الدين إلا معلمين ومرشدين ، والأمر متوقف على اختيار الناس لأعمالهم - خيراً أو شراً - « إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً » (٣). فالتزام

---

١- سورة الحجر الآية (٩).
٢- سورة المزمل الآية (١٩).
٣- سورة الإنسان آية (٢٩).

الطريق المستقيم الذى رسمه الله سبحانه للجميع .. فمادامت العبادة لله وحده .. فهو وحده الذى يقبل منها ما يشاء .

**ثالثاً:** مبادئ الشريعة تستهدف تحقيق المصلحة ، فإذا لم يوجد نص واضح فى أمر تعددت فيه وجهات النظر من أهل الحل والعقد محققاً المصلحة العامة للناس كان مشروعا وبخاصة فيما يتعلق فى الشئون الدنيوية ، فالناس أعلم بشئون دنياهم كما قال الرسول ﷺ : « أنتم أعلم بشئون دنياكم»(١).

**رابعاً:** لا يوجد فى الإسلام سلطة مقدسة مستمدة من سلطة الله تعالى ، وليس فى الإسلام من هو معصوم من الخطأ إلا من اصطفاهم واجتباهم الله تعالى لرسالاته ، والحكم من ذوى السلطان ليس لذواتهم ، بل الحكم للدين أولاً وآخراً .. فكل شئ منه اختلاف رأى يرد إلى الله عز وجل وإلى الرسول ﷺ ، أى ينبغى الرجوع إلى مصادر التشريع الإسلامى ( القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة).

**خامساً:** الإسلام يمقت الرهبنة التى تعطل مصالح الدنيا ، ويجعل النشاط الذى يبذل لتحقيق هذه المصالح فى منزلة عالية ، لأنه جهاد فى سبيل الله ، فالضرب فى الأرض بزراعة أو تجارة أو صناعة أو علم أو غير ذلك مما يلزم الجميع فهو عبادة .. والإسلام يقرر أن السلوك الاجتماعى مقياس لقبول العبادة حيث أنه ثمرة للعلاقة بين العبد وربه ، ومن كانت له وجهة غير ذلك فى سلوكه الاجتماعى لدينا يصيبها... أو امرأة ينكحها أو ينصب يسعى إليه .. الخ. فهى عبادة مرفوضة لا يقبلها الله مادامت لغير وجهة « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

---

١- صحيح مسلم المجلد ١٨ ، فى كتاب الفضائل تحت عنوان وجوب امتثال ما قاله شرعا ، دار الكتب العلمية.

أَحَدًا » (١) ، « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ .. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » (٢).

**سادساً :** الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة ، ليس جامداً بل يواكب متطلبات العصر ويتلائم مع متطلباته ، ويحث على السير والنظر والتدبر وقراءة آثار السابقين .. ومع هذا يقرر أنه الله يبعث مجددين على رأس كل قرن، يوضحون للناس ما أبهم ، لأنه دين صالح لكل زمان ومكان ، ومن مبادئ التربية المأثورة عن السلف : لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم .. فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم . والمراد بالأخلاق العادات التى تقبل التغيير ، أما أصول الأخلاق فثابتة.

بهذا وبغيره .. يرفض الإسلام العلمانية ، ونرى أن المسلمين ليسوا فى حاجة إليها .. وإنما هم فى حاجة إلى فهم دينهم فهماً صحيحاً ، وتطبيقه تطبيقاً سليماً كاملاً .. كما فهمه الأولون وطبقوه ، فكانوا أساتذة العالم فى كل فنون الحضارة والمدنية الصحيحة ، وضعف المسلمين وتأخرهم ناتجاً عن الجهل بحقائق الدين .. وبالتالى عدم العمل بما جاء به من هدى ، وبالجهل قلدوا غيرهم من مظاهر حضارتهم ، وآمنوا بالمبادئ التى انطلقوا منها دون عرضها على مبادئ الإسلام، لأنهم لا يعرفون عنها إلا القليل .

والإسلام لا يمنع أن يستفيد المسلمون من معارف هؤلاء، وعلمهم وخبرتهم فيما يقوى شوكة المسلمين ويدفع عنهم السوء .. ويأمر بالإطلاع على ما عندهم حتى يعاملوهم على أساسه ، والتعاون فى المصالح أمر تفرضه طبيعة الوجود .. وهو شاهد فى كل العصور على الرغم من اختلاف العقائد والأديان .. والضابط والمهم فى كل ذلك .. أن لا يكون فى ذلك مساس بالعقيدة أو الأصول المقررة .. وأن يكون الهدف الخير والمصلحة.

---

١- سورة الكهف من الآية (١١٠).
٢- سورة الماعون الآية (٤ : ٧).

وبعد :

فلقد صدر أعداء الإسلام « العلمانية » إلى البلاد الإسلامية مغلفة فى ثوب العلم والمدنية والتقدم .. وعجب أن ينخدع المسلمون بذلك أو بعضهم .. والغاية منها تحقيق ما أراد أعداء الإسلام على نحو مايلى :

- وفدت العلمانية يقصدون من ورائها تفريغ المجتمع الإسلامى من مضمون دينه.. فضلاً عن التمسك به.

- التهوين بقيم الإسلام ومبادئه ليسهل عزله عن شئون الحياة كلها بما فيها الحكم وإدارة شئون البلاد .. ثم حصر الدين بين جدران المساجد وأمور العبادة فلا يكون له سلطان خارجها.

- إفساد التعليم وتبعيته للغرب وذلك بتفريغ مناهجه من الدين وقيمه ليسهل لهم قيادة المسلمين .. وحددا الأزهر - التعليم الدينى - عقبة فى طريقهم فشطروا التعليم نصفين .. دينى - فى الأزهر ومؤسساته - ومدنى فى مجالات التعليم الأخرى ومزقوا بذلك وحدة المجتمع بين طائفة العلمانيين الواردين من الخارج أو المتخرجين من الداخل .. فأبعدت بذلك من يتعلم مدنيا عن الإسلام .. وجعلت الأمر بعد ذلك بيدهم .. ومنحتهم كل الامتيازات وجعلت لوظائفهم هالة وبريق .. وفى المقابل - وهى نتيجة حتمية - إزدراء شأن الدين وتحقير أمر طلابه ومعلميه .

- إفساد الإعلام - بعد التعليم - الذى يخاطب الملايين ببرامجه المختلفة وتأثيره المباشر سواء فى ذلك المقروء .. والمسموع .. والمنظور .. أى صحافة .. وإذاعة .. وسينما أو تليفزيون .. وما للأخيرة من تأثير شديد خاصة على السذج البسطاء .. والعلمانيون من خلال هذه الأجهزة يلبثون ما يريدون من الإغراء بالجريمة .. أو يساعد على إشاعة الفاحشة والتحلل .. مما يترتب عليه

من تحقير القيم .. والأخلاق .. والمُثل .. وخلخلة العقيدة .. وما الإسلام إلا عقيدة وأخلاق.

- سعت إلى تحقيق الاختلاط بين الجنسين فى التعليم .. والعمل .. وغير ذلك مما يترتب عليه من فساد لا يخفى على ذى عقل.

- دعت إلى تحرير المرأة .. وياله من شعار خادع وكاذب .. ماذا يقصد به إلا الحرب على الإسلام .. فالمرأة المسلمة سبقت غيرها من النساء .. فعرفت واجبها ، وعرفت حقها .. وكانت لها الشخصية القانونية المستقلة .. تتعامل باسمها دون حاجة إلى اعتماد تصرفها من أحد « وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِى عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ .. »[1] ، بينما ظلت المرأة الفرنسية على سبيل المثال لا تتعامل باسمها وحده بل لابد من إجازة الزوج لتصرفها وذلك لعهد قريب ..

فماذا يعنى التحرر أو التحرير بعد ما أعطاها الإسلام حقها بما لم يعطه نظام آخر ؟؟

قالوا : تحريرها من البيت .. وتحريرها من الزى .. ولا يخفى أن تحرير المرأة من البيت حرمان للمجتمع المسلم من جيل ينشأ على الخلق والفضيلة .. وتحرر المرأة من زيِّها .. معناه كشف ما أمر الله أن يستر .. وهتك ما أمر الله أن يصان.. يعنى .. عرضاً رخيصاً .. لسلعة غالية صانها بها وصانها الإسلام بتشريعاته .. ونتيجة ذلك غير خافية من تصديع البيوت .. وإثارة المشاكل .. وسقوط المجتمع فى حمأة الرذيلة ، فيقضى بنفسه على نفسه.

- روجت العلمانية الدعوة إلى فكرة القومية لتمزق الأمة المسلمة الواحدة إلى قوميات فلا يبقى لها كيان مستقل ولا شخصية متميزة .. وذلك بإقصاء الإسلام .. لعزل الشعوب الإسلامية عن بعضها البعض .. وتفريغ قضاياها ..

---

١- سورة البقرة آية (٢٢٨).

سياسية .. أو اجتماعية .. أو ثقافية .. أو اقتصادية من محتواها الإسلامى بوجه عام ..

مع أن بطلان هذه الدعوة إلى القومية أيا كان نوعها .. مما هو معلوم من الإسلام بالضرورة .. لأنها منكر ظاهر ، وكيد للإسلام وأهله ، وجرعة نكراء جاءت على نقيض ما قرره الإسلام من وحدة الأمة وأخوتها .. « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (١) « وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ » (٢) ، « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا .. وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً .. » (٣).

وقول نبى الإسلام ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٤).

من كل هذا يتضح خطر العلمانية على المسلمين والعقبة فى طريق الدعوة إلى الإسلام .. الذى يحتم على الدعاة الذين يحملون أمانة الدعوة أن يعلموا خطر هذه الدعاوى الكاذبة وبيان زيفها وضلالها ، حتى يدفعوا هذا الباطل عن دعوة الحق .. فدعوة الإسلام واضحة جلية : فالإسلام دين ودنيا .. دولة ودين .. علم وسياسة .. لا فصل فيه بين الدين والسياسة بل إن الدين يقوم السياسة ويزكيها ، والسياسة تقوم على الدين والرسول ﷺ قائد الأمة الإسلامية ورسولها أول ما نزل عليه من الوحى قول الله سبحانه « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ .. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ .. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ .. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (٥).

---

١- سورة الأنبياء آية (٩٢).
٢- سورة المؤمنون آية (٥٢).
٣- سورة آل عمران آية (١٥٣).
٤- رواه البخارى فى كتاب الأدب ، جـ١ ص ٤٥٢ ، رقم ٦٠١١ ، ومسلم فى البر والصلة ، جـ٤ ص١٩٩٩ ، رقم ٤٦٦.
٥- سورة العلق آية ( ١ - ٥ ).

إنها دعوة للعلم بكل ما تستطيع البشرية ابتغاء الرقى والحضارة والتقدم ، ولم لا ؟ والإسلام هو الدعوة العالمية التى يجب أن تسود العالم كله إلى قيام الساعة .

ومن هنا نقول للدعاة إلى الله فى هذا العصر الحديث : يجب عليكم أن تفطنوا لهذه الدعوات الإلحادية التى تمزق وحدة الأمة ، وأن تأخذوا الحذر من أعداء الإسلام حتى تستطيعوا أن تدفعوا عن دعوة الحق .. بالعلم السديد .. والأسلوب الرشيد .. وأن تأخذوا بيد الشباب المسلم الحائر الذى أغدق عليه أعداء الإسلام بهذه الدعاوى الماكرة الملحدة .. والحيل المضللة .. فالشباب المسلم يحتاج الكثير والكثير .. ولن يستطيع الداعية أن يؤدى دوره كاملا إلا إذا كان على علم بهذه التيارات والأخطار التى صدرت إلينا من الغرب .. فإن استطاع أن يقف على حقائقها إستطاع أن يجتب الشباب هذه الأخطار ، وذلك ببيان زيف مافيها مع بيان المقابل لهذا الزيف .. وهو المنهج الصحيح الواضح .. منهج الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ ودعا به .. تحقيقا لقول الله سبحانه : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا .. وَمَنِ اتَّبَعَنِي .. »[1] .. « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »[2] .. « فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً .. وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ .. »[3].

هذا وبالله التوفيق .. ومنه العون .. وعليه التوكل .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**دكتور / إبراهيم عبدالرحمن عتلم**

*قسم الدعوة والثقافة الاسلامية*
*أصول الدين - جامعة الأزهر*

---

١- سورة يوسف آية (١٠٨).
٢- سورة الإسراء آية (٨١).
٣- سورة الرعد من الآية (١٧).

## أهم مصادر ومراجع البحث


- القرآن الكريم.
- ( أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ) د. على جريشة ومحمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام.
- ( اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ) أدوارد جيبون ، دار الكتاب العربى ١٩٦٩م.
- ( أروبا العصور الوسطى ) د. سعيد عبدالفتاح عاشور .
- ( التاريخ الأوربى الحديث ) د. عبدالعزيز فواز .
- ( الحركة الصليبية ) د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م.
- ( الرسالات الكبرى ) سنية قراعة ، مطبعة دار الشعب ١٩٦٦م.
- ( العشاء الربانى ) القس عوض سمعان.
- ( العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ) د. محمد البهى.
- ( العلمانية النشأة والأثر فى الشرق والغرب ) د. زكريا فايد ، الزهراء للاعلام العربى.
- ( الكتاب المقدس ).
- ( الاتجاهات الفكرية المعاصرة ) د. جمعه الخولى.
- ( الإسلام والحضارة الغربية ) د. محمد محمد حسين.
- ( الإسلام والعروبة والعلمانية ) د. محمد عماره ، دار الوحدة بيروت ١٩٨١م.

- ( الله والعلمانية وجها لوجه) د. يوسف القرضاوى، دار الصحوة ١٩٨٧م.
- ( المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية ) د. محمد رجب الشتيوى .
- ( المسيحية ) د. أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة خامسة ١٩٧٧م.
- ( بيان للناس من الأزهر الشريف ) .
- ( تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب ) د. حسن إبراهيم ، أحمد الصادق الطنطاوى.
- ( تاريخ ألمانيا ) د. محمد كمال الدسوقى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
- ( تاريخ الفلسفة الغربية ) برتراند رسل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م.
- ( تاريخ الكنيسة ) موريس يقادينى ترجمة الأب ج عفيفى العيسوى.
- ( دلائل النبوة ومعجزات الرسول ) د. عبدالحليم محمود.
- ( عقائدنا ) - مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والانجيل ، للصادقى.
- ( قصة الحضارة ) و.ل. ديورانت ترجمة د. عبدالحميد يونس.
- ( محاضرات فى النصرانية ) للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٢م.
- ( معالم تعاريخ أوربا الحديث ) محمد رفعت ، محمد أحمد حسونة المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٨م.
- ( نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامى ) د. محمد زين الهادى.
- ( يا أهل الكتاب تعالوا ) د. رؤوف شلبى .